أهمية موقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية

أ.د. ظاهر عبد الزهرة الربيعي م.م. احمد حسن مجهول الحسناوي
كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة البصرة

المستخلص

تتأثر السياسة الخارجية لأي دولة بمجموعة من العوامل الجغرافية، والتي تعد نقطة الارتكاز الأساسية للدراسات الاستراتيجية بشقيها الجيوبولتيكي والجيوستراتيجي، بمعنى إن استراتيجية الدولة وتوجهات نظام الحكم فيها وبناء علاقاتها وتنوعها يحددها العامل الجغرافي، ويعد الموقع الجغرافي للعراق من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة في الاستراتيجية الأمريكية، إذ يشغل العراق أهمية جيوستراتيجية عظيمة في استراتيجيات الدول الكبرى، وسيظل العراق لعقود قادمة مركز شد وجذب دوليين؛ لاعتبارات وأسباب عديدة ومتنوعة، ذلك أن العراق يشكل أفضل مجال جغرافي للتحرك الأمريكي نحو منطقة الشرق الأوسط ، وسنحاول في هذا البحث تحليل أهمية موقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر الجغرافية السياسية .

Abstract

The foreign policy of any country is influenced by a range of geographical factors, which is the main fulcrum for strategic studies of the geopolitical and geocytritgy, meaning that the state strategy, the orientations of its system of governance and the building of its relations and diversity are determined by the geographical factor, and is The geographical location of Iraq is one of the most important natural factors influencing the U.S. strategy, as Iraq occupies

great strategic importance in the strategies of the major powers, and for decades Iraq will continue to be a center of international tension and attraction for many different reasons, because Iraq is the best field Geography of the American move towards the Middle East, and in this research we will try to analyze the importance of Iraq's geographical location to the United States from the geopolitical standpoint .

مشكلة البحث

يمكن تحديد مشكلة البحث انطلاقاً من التساؤل التالي : ما الأهمية الجيوستراتيجية لموقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هي انعكاسات ذلك الموقع على تحديد التوجه الأمريكي إزاء منطقة الشرق الأوسط بشكل عام والعراق بشكل خاص؟ ، وما تأثير ذلك في بناء العلاقات بين الدولتين؟ .

فرضية البحث

من خلال مشكلة البحث أعلاه يمكن صياغة الفرضية التالية : يتمتع العراق بموقع جغرافي مميز أعطاه أهمية جيوستراتيجية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تفوق بقية العوامل الجغرافية، مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية الى احتلال العراق، وتغيير نظامه السياسي واعادة بناء علاقاتها مع العراق الجديد، تمهيداً لرسم خريطة جديدة للمنطقة بغية تحقيق أهدافها القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى

المحور الأول : الموقع الجغرافي للعراق :

يعد الموقع من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد قيمة وقوة الدولة وسياستها الداخلية والخارجية، كما يترتب عليه اتخاذ كثير من القرارات، وظهور كثير من النتائج العسكرية والاقتصادية والاجتماعية .[1]

يقع العراق جغرافياً في منطقة الشرق الأوسط في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، والقسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي، تحده من الشمال تركيا ومن الشرق ايران، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الجنوب الغربي السعودية، ومن الجنوب الكويت والخليج العربي، ويمكن تناول الموقع الجغرافي للعراق من أربعة زوايا هي :

1ـ الموقع الفلكي والخصائص المرتبطة به :

يقع العراق فلكياً بين دائرتي عرض (29,6° ـــ 37,27°) شمالاً، وخطي طول (38,39° ـــ 48,36°) شرقاً.[2] خريطة (1)، وبذلك فهو يمتد على (8) دوائر عرض ، هذا الامتداد الفلكي جعله يتخذ شكلاً أشبه بالمستطيل، وأسهم في تنوع الاقاليم المناخية في العراق .

خريطة (1)

الموقع الفلكي للعراق

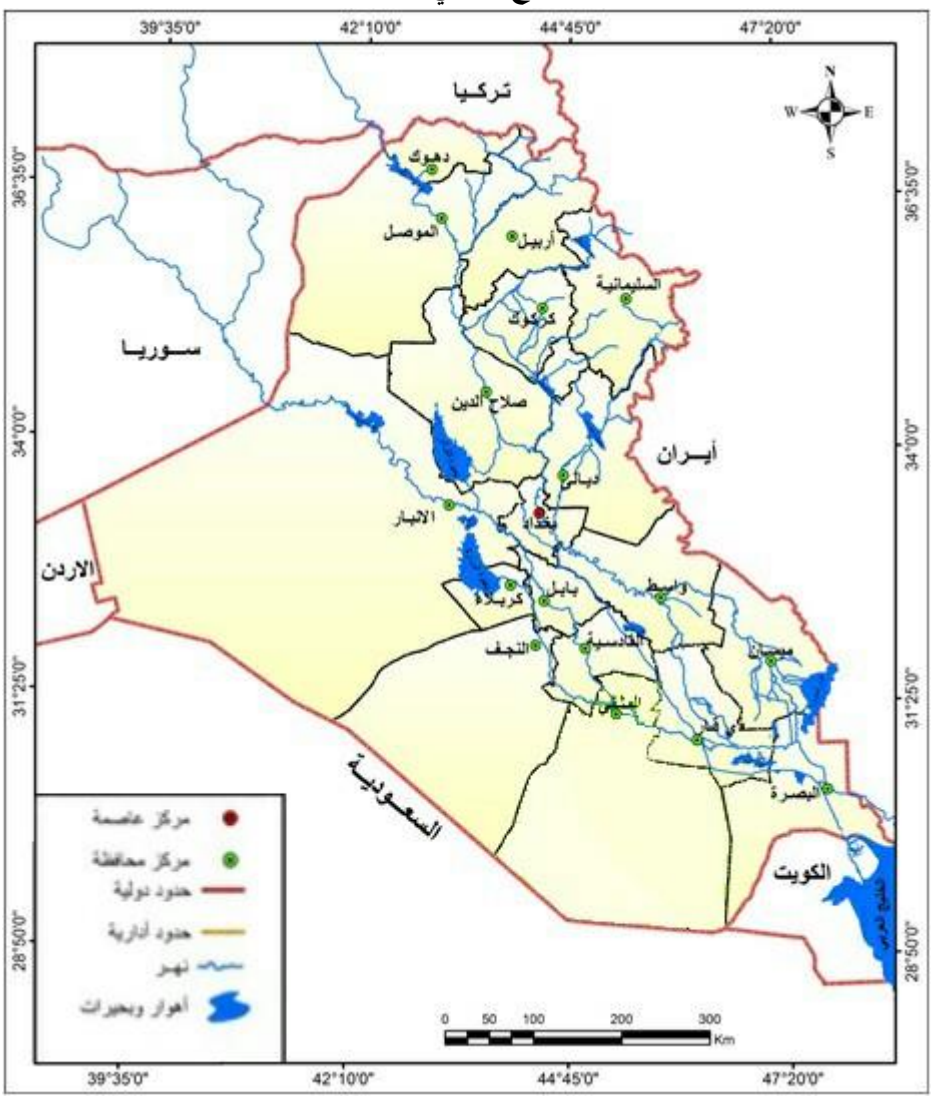

المصدر : وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، بغداد ، قسم انتاج الخرائط ، خريطة العراق

الادارية لعام (2010) ، مقياس 1: 1000,000 .

إذ يظهر اقليم مناخ البحر المتوسط في الاقسام الشمالية من العراق، وتحديداً ضمن المنطقة الجبلية الممتدة من شمال غرب محافظة نينوى حتى القسم الجنوبي الشرقي من محافظة السليمانية، ويشغل مساحة تبلغ نحو (24700) كم2 بما نسبته (5,7%) من اجمالي مساحة العراق البالغة نحو (435052) كم2، ويتميز بانخفاض درجات الحرارة شتاءً خلال الأشهر ((كانون الأول، كانون الثاني، شباط، وآذار))، وارتفاعها صيفاً في أشهر ((تموز، آب، أيلول))، مع سيادة الجفاف وتساقط الثلوج بكميات كبيرة، كما يسود اقليم المناخ شبه الجاف الى الجنوب من الاقليم السابق في المنطقة شبه الجبلية، وهو مناخ انتقالي بين المناخ شبه الرطب والمناخ الجاف، ويمتد مكانياً على شكل شريط ابتداءً من شمال غرب مدينة سنجار حتى جنوب شرق مدينة خانقين، ويشغل مساحة تقدر بنحو (50800) كم2، أي ما يعادل (11,7%) من مساحة العراق، ويتميز بارتفاع درجات الحرارة صيفاً وانخفاضها شتاءً، في حين يظهر اقليم المناخ الجاف في القسم الجنوبي من المنطقة شبه الجبلية، وتحديداً ضمن منطقتي الهضبة الغربية والسهل الرسوبي، تبلغ مساحته نحو (359500) كم2، بما نسبته (82,6%) من مساحة الدولة الاجمالية .[3]

إن هذه المناخات المتنوعة أدت الى تنوع الانتاج الزراعي، ومن ثم بيان مستوى الأمن الغذائي المتحقق، فقد بلغت درجة الاكتفاء الذاتي من محاصيل الحبوب بشكل عام ما نسبته (97 ، 96 ، 92%) للسنوات (2015 ، 2016 ، 2017) على التوالي، غير أن هذه النسبة تتباين من محصول لأخر، فقد سجل محصول القمح درجة اكتفاء ذاتي بلغت نسبتها على التوالي (51، 47، 44%) للسنوات (2015 ، 2016 ، 2017) حسب الترتيب، في حين بلغت درجة الاكتفاء الذاتي من محصول الشعير ما نسبته (100 %) للسنوات الثلاثة المذكورة آنفا، بينما سجل محصول الأرز نسب متدنية بلغت (15 ، 8 ،

15%) خلال السنوات نفسها على التوالي .[4]، وهذا يعكس حجم العجز الغذائي في توفير هذا المحصول، ويدفع الدولة لاستيراده بكميات كبيرة من الخارج، ولا سيما من دول شرق وجنوب شرق آسيا لسد حاجة السكان المحلية، بينما بلغت نسبة الاكتفاء من منتجات السكر والبقوليات والزيوت النباتية والألبان واللحوم الحمراء لسنة (2010) على التوالي ما نسبته (46 ، 62 ، 33 ، 59 ، 99%)، من ذلك نلاحظ أن العراق يعاني من عجز غذائي في انتاج الرز والسكر والبقوليات والزيوت النباتية والالبان ولكن بنسب متباينة، بيد أن حدتها ترتفع في محاصيل الرز والزيوت النباتية التي يستوردها العراق ضمن نظام البطاقة التموينية الوطنية، بينما يستورد منتجات الألبان من الجارتين ايران والسعودية لسد العجز الغذائي في هذا المنتج .[5]

من ذلك يتبين لنا أن موقع العراق من دوائر العرض، أسهم في وجود تنوع مناخي، وهو مؤشر ايجابي في تحقيق الأمن الغذائي العراقي، بيد أن الواقع يشير أن معظم أراضي العراق هي صحراوية وتقع ضمن المناخ الجاف وشبه الجاف بل أن قسم كبير من أراضي السهل الرسوبي يقع ضمن هذه الأنطقة المناخية، كما أن الإهمال الحكومي المستمر لقطاع الزراعة أفضى الى حدوث عجز غذائي في توفير بعض المحاصيل الغذائية الرئيسية كالرز والسكر والزيوت وغيرها، والمنتجات الحيوانية من الالبان واللحوم، مما اضطر الحكومة الى استيرادها من دول مختلفة بالعملة الصعبة لسد العجز الحاصل في حاجة السكان، وقد كلف هذا الأمر الدولة مليارات الدولارات التي خصصت لشراء تلك المواد، في الوقت الذي كان يجدر عليها استثمارها في قطاع الزراعة وتلبية متطلباته لسد حاجة السكان المتزايدة على المواد الغذائية في ظل تزايد النمو السكاني في العراق ، وتحقيق درجة ممتازة من الاكتفاء الذاتي .

إن تدهور قطاع اقتصادي اساسي في العراق مثل الزراعة، يعني مزيد من العجز الغذائي والأزمات الغذائية التي سوف يكون لها تبعات لاحقة على استقرار الدولة وأمنها واستقرار نظامها السياسي، وهذا من الجانب النظري يخدم الدول الكبرى التي تسعى لتركيع الشعوب والسيطرة على مقدراتها وان تغيرت الاساليب والاستراتيجيات من استخدام القوة الى اتفاقيات اقتصادية وتجارية مشتركة لتبادل المنفعة، والتي يتم على أساسها نهب ثروات الشعوب الغنية بالموارد وخاصة الاستراتيجية منها كالنفط، مقابل تزويدها بالغذاء بعد تجويعها وفرض العقوبات عليها كما حدث مع العراق بفرض الحصار الاقتصادي عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية سنة (1990) تمهيداً لاحتلاله، لذلك كان العراق ولازال من أهم دول منطقة الشرق الأوسط التي دخلت ضمن حسابات الولايات المتحدة الأمريكية وتفكريها الاستراتيجي، إذ تتميز الولايات المتحدة بسياسة خارجية ذكية جداً في توجهاتها وتنطلق من معرفة كبرى بحاجة الدول التي تشكل بعداً اقتصادياً هاماً في استراتيجياتها المستخدمة لتحقيق اهدافها المستقبلية .

2ـ الموقع بالنسبة لليابس والماء :

يتوسط العراق قارات العالم القديم، من ذلك فهو يشغل موقعاً جغرافياً مركزياً، سيطر من خلاله برياً على خطوط الاتصال والتجارة الدولية، ما جعله يتحكم بحركة التبادل التجاري الدولي لمنتجات الحرير والأصواف والتوابل والشاي والجلود التي كانت تمر عبر العراق الى موانئ البحر المتوسط، ومن ثم نقلها الى اسواق أوربا .[6]، كما يتوسط العراق من الناحية النظرية خمسة بحار متمثلةً بالبحر الأسود في الشمال، والخليج العربي وبحر العرب في الجنوب، وبحر قزوين في الشمال الشرقي، والبحر المتوسط في الغرب، والبحر الأحمر في الجنوب الغربي، غير أن أهمية البعض من هذه البحار كبحر قزوين والبحر الأحمر تكاد تكون معدومة من الناحية الجيواقتصادية؛ بسبب بعدها عن العراق وبالنتيجة هامشيتها بالنسبة

لمناطق الثقل الاقتصادي العالمية، إذ لم يكن لها تأثير واضح على مناخ العراق لبعد المسافة ووجود الحواجز التضاريسية، من ذلك فإن القيمة الفعلية لموقع العراق من البحار لا تتعدى مسطح البحر المتوسط الذي استخدمه العراق بحكم قربه لتصدير فائضه الانتاجي ولا سيما النفط، واستيراد حاجاته الاساسية، بينما يعد الخليج العربي رئة العراق البحرية للأشراف على العالم الخارجي بمسافة تصل الى نحو (60كم) ، فالعراق دولة تتغلب فيه الحدود البرية على الحدود البحرية، ولولا هذا المنفذ البحري لأصبح العراق دولة حبيسة من وجهة نظر الجغرافية السياسية؛ بعَده يضم عدد لا بأس به من الموانئ العراقية التجارية والنفطية، ويعتمد عليها العراق في معظم تجارته الدولية .[7]، خريطة (2)

خريطة (2)

موقع العراق بالنسبة للعالم

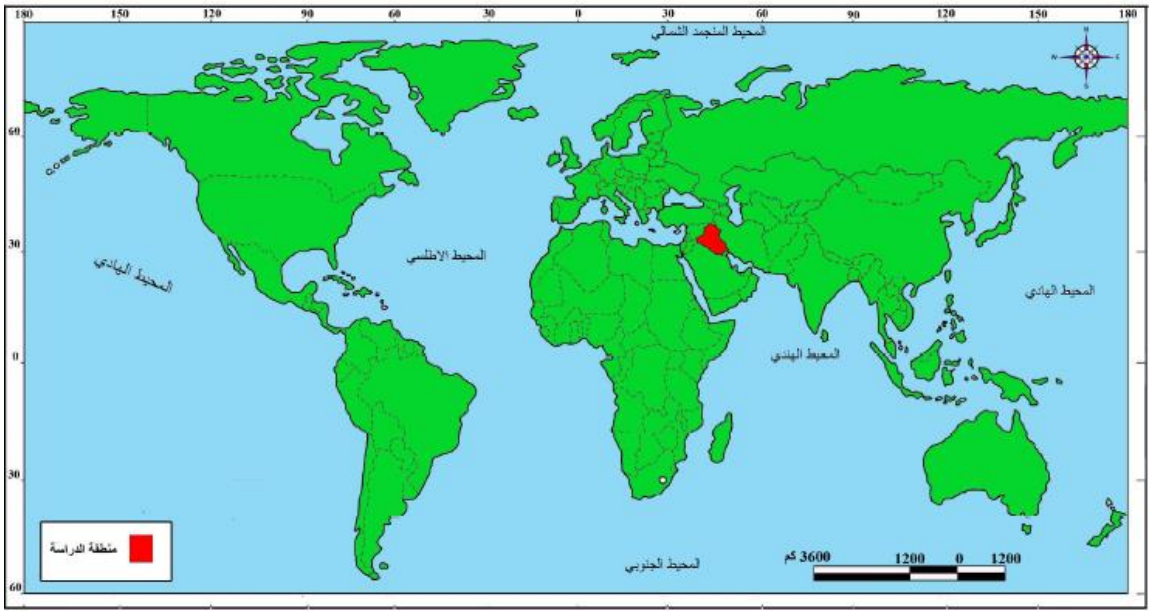

المصدر : لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، أطروحة

دكتوراه ((غير منشورة))، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2014، ص[16] .

3ـ موقع الجوار :

تجاور العراق في حدوده البرية ستة دول، اثنتان أجنبيتان هما تركيا وايران اللتان تحدان العراق من جهتي الشمال والشرق بحدود يبلغ طولها حسب الترتيب نحو (337) و (1300كم) ، أي بما نسبته (10,9%) و (37,6%) من اجمالي حدود العراق الجغرافية البالغة نحو (3462 كم)، بينما تحده أربعة دول عربية أخرى هي سوريا من الشمال الغربي بحدود بلغت نحو(600) كم، بما نسبته (17,3%)، والأردن من جهة الغرب بحدود بلغت نحو(178كم) ، وبنسبة (5,1%)، والسعودية من جهة الجنوب الغربي بحدود بلغت نحو (812)، بنسبة (23,5%)، في حين تحده الكويت من الجنوب بحدود بلغت نحو (195)، أي ما يعادل (5,6%) من اجمالي الحدود العراقية، جدول (1) .

مما يلاحظ أن العراق يشترك مع جواره الجغرافي بمشتركات قومية ودينية، وقد شهدت هذه الحدود استقرارا دائماً وتبادل المنفعة مع بعض الدول بيد أن الظروف السياسية الصعبة التي مر بها العراق خلال فترة ثمانينيات القرن الماضي، فضلاً عن غياب الوعي السياسي لدى صناع القرار أدت الى تدهور العلاقات مع جواره الجغرافي ولا سيما مع ايران والكويت، بسبب تجاوز الأخيرتين على الحدود العراقية حسب ادعاءات النظام العراقي السابق ، كما أدى تزاحم المشاريع الجيوستراتيجية للقوى الكبرى في المنطقة ، الى دفع الأمور بقوة نحو التصادم خدمةً لمصالحها، وبالنتيجة اقحام العراق بحرب استنزافية مع ايران للمدة (1980ـ 1988)، وأخرى مع الكويت سنة (1990)، وما نتج عن ذلك من تداعيات سلبية على علاقة العراق مع جواره الجغرافي العربي، والتي أثرت سلباً على وزن العراق وأهميته في المنطقة .[8]

جدول (1)

طوال الحدود العراقية مع الدول المجاورة بـ (كم) لسنة (2013)

الدول المجاورة	طول الحدود (كم)	النسبة %
ايران	1300	37,6
السعودية	812	23,5
سوريا	600	17,3
تركيا	377	10,9
الكويت	195	5,6
الأردن	178	5,1
المجموع	3462	% 100

المصدر : اعتماداً على : وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الاحصائية السنوية، جدول(2/1)، 2013، ص[7] .

4ـ الموقع الاستراتيجي للعراق :

يحظى العراق بموقع استراتيجي غاية في الأهمية، مما جعله موقعه هذا يدخل ضمن اهتمام وعناية أصحاب النظريات الاستراتيجية، إذ يقع العراق وفقاً لنظرية القوة البرية ل (هالفور ماكيندر) ضمن منطقة الهلال الداخلي الذي يحيط بقلب الأرض ، خريطة (3) .

فكان لذلك الموقع أثر كبير في أحواله السياسية والاقتصادية، مما جعله ممراً للأقوام الغازية أو المهاجرة، وأصبحت له أهمية دولية كمركز للحكم وأثر حاسم في النزاعات الدولية، فقد اتخذ العراق عاصمة لجميع المحتلين في السابق .[9]، بينما أُريد للعراق أن

يصبح كنقطة انطلاق لتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط في الوقت الحاضر .

خريطة (3)

موقع العراق بالنسبة لنظرية قلب الأرض لماكيندر

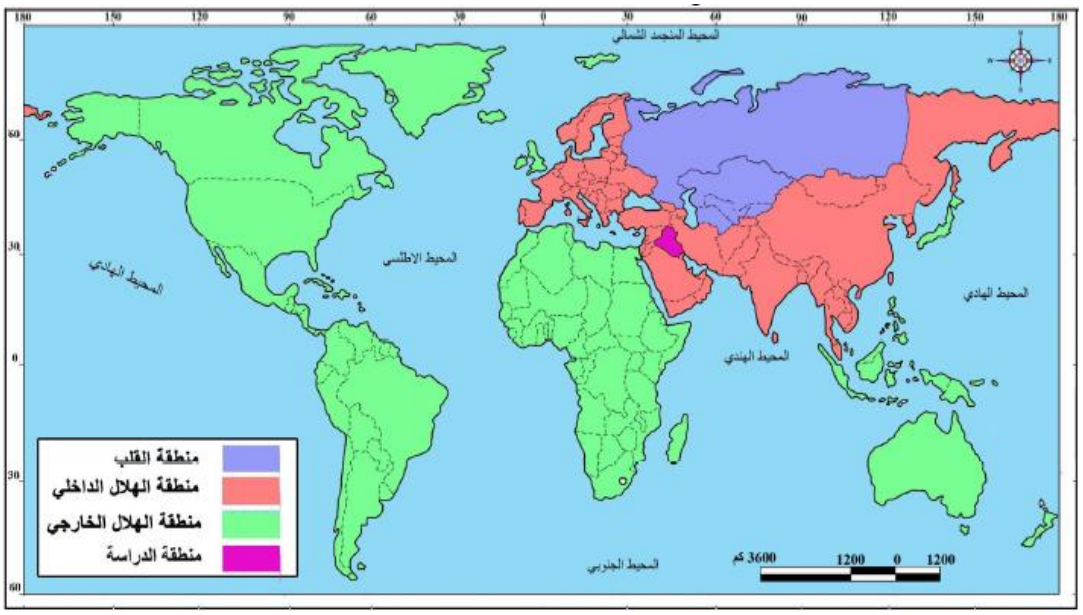

المصدر : لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، أطروحة دكتوراه ((غير منشورة))، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2014، ص[27] .

أما بالنسبة لأهمية موقع العراق الاستراتيجي من نظرية ماهان، فالعراق دولة برية، غير أنه يمتلك اطلالة بحرية مميزة على منطقة الخليج العربي بالرغم من صغرها وضيق خط الساحل البالغ طوله (60كم)، مما أعطته أهمية جيوستراتيجية وأخرى جيوبولتيكية ذات تأثير اقليمي مباشر في المنطقة .

وفي نظرية الاطار القاري التي وضعها الأمريكي سبايكمان يقع العراق ضمن منطقة الهلال الداخلي الذي حدده ما كيندر واطلق عليه اسم منطقة الارتطام بين القوى البحرية والقوى البرية، بينما اطلق عليه سبايكمان اسم (الاطار الأرضي)، وتشمل هذه المنطقة شمال روسيا وشبه الجزيرة الكورية والصين ودول جنوب شرق آسيا وأوربا وايران وافغانستان وتركيا والوطن العربي . خريطة (4)

خريطة (4)

موقع العراق بالنسبة لنظرية الأطراف التي وضعها سبايكمان

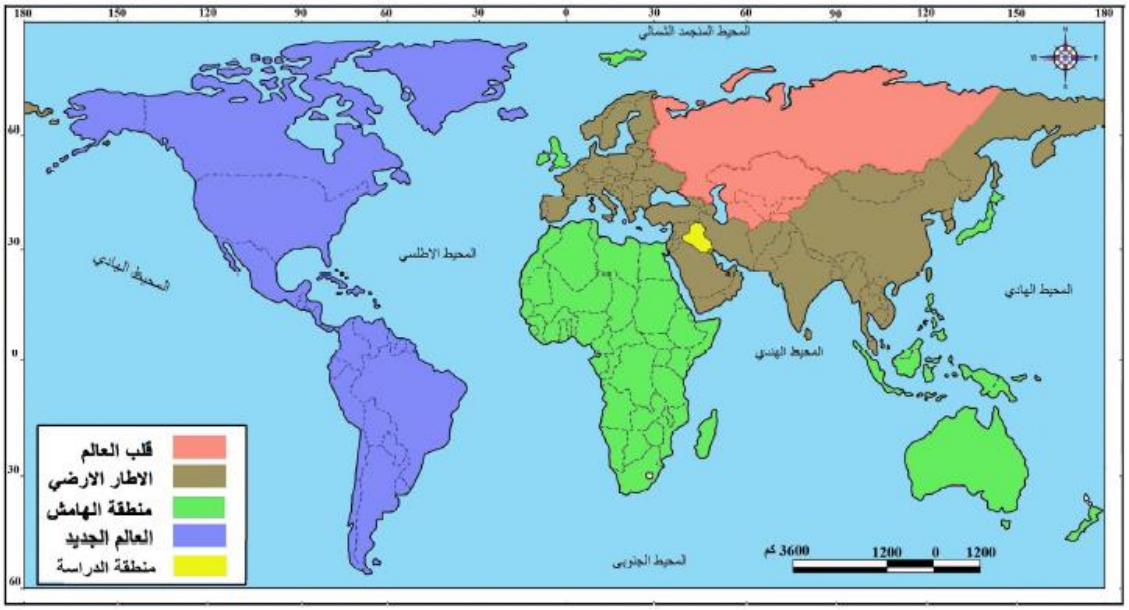

المصدر : لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، أطروحة دكتوراه ((غير منشورة))، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2014، ص[29] .

وبالنسبة لموقع العراق من نظرية الكسندر دي سفرسكي، فهو يقع ضمن منطقة التداخل بين نفوذ القوة الجوية الأمريكية والقوة الجوية الروسية التي تعد من أهم المناطق من الناحية

الجيوبولتيكية، فالعراق يشغل موقعاً استراتيجياً يتوسط العالم، مما جعله يقع على أقصر طرق الخطوط الجوية التي تربط الشرق بالغرب والجنوب الآسيوي بأوربا.

نستخلص مما تقدم أن العراق يتمتع بموقع جغرافي مميز يتفوق تأثيره الجغرافي السياسي على بقية العوامل الجغرافية، مما جعل العراق محط أنظار الدول الكبرى، وأدخله ضمن حساباتها الجيوستراتيجة، فقد شغل العراق مكانة مهمة في جميع النظريات الجيوبولتيكية التي سبق الحديث عنها، إذ يحتل العراق حيزا كبيراً في السياسة العالمية من جهة والاقليمية من جهة أخرى، كما يتميز بأهمية جيواقتصادية عظيمة تضاف الى أهميتهُ الجيوبولتيكية؛ كونه دولة غنية بالموارد وعلى رأسها النفط، فضلا عن كونه يمثل أقصر معبر بري يربط بين أوربا المصنعة ودول الخليج العربي النفطية عبر تركيا، كما يمثل العراق منطقة الفصل بين الحضارات المختلفة العربية والفارسية والتركية، فضلاً عن كونه منطقة استراتيجية للولايات المتحدة الامريكية بعد عام (2003) لتأمين امدادات النفط لها ولحلفائها الأوربيين؛ بحكم قرب العراق من الحقول الخليجية ، لذا فالعراق يعد عمقاً استراتيجياً للولايات المتحدة الامريكية من تمدد النفوذين الروسي والصيني لمنطقة الخليج العربي من جهة، فضلاً عن وقوعه على أقصر الطرق البرية التي تربط بين أوربا من جهة وجنوب شرق أسيا من جهة أخرى .

وبالرغم من الاهمية الجيواقتصادية لموقع العراق الغني بثرواته المعدنية (النفط الخام والغاز الطبيعي) غير أن العراق لم يتعامل مع موقعه ذي الامكانات الاقتصادية بشكل إنموذجي يؤهله الى أن يشغل مكانة اقليمية مميزة، مما أثر في وزنه وسلوكه السياسي الخارجي .

المحور الثاني : الأهمية الجيوستراتيجية لموقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة :

أكدت العديد من النظريات الجيوبولتيكية على أن للموقع الجغرافي تأثيراً حتمياً على حركة الدولة، ويكفي أن نتذكر على سبيل المثال آراء راتزل وهالفورد ماكيندر والجنرال كارل هاوسهوفر في المجال الحيوي، ذلك التأثير الفاعل في السياسة الخارجية الألمانية في عهد هتلر إزاء شرق أوربا .[10]، ولكون العراق يحظى بموقع استراتيجي غاية في الأهمية يجمع بين مزايا الموقع وهبات الموضع جعله موقعه هذا يشكل حجر الزاوية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي المعاصر، ليس بحدوده السياسية وغناه بالموارد النفطية فحسب، بل بحدود محيط منطقة الشرق الأوسط بكاملها، ولا سيما بعد أن أدركت أن هيمنتها وزعامتها على العالم لا تستكمل من دون السيطرة على العراق ونهب ثرواته الغزيرة لما لها من تأثير كبير في تغيير موازين القوى لتحقيق أهدافها البعيدة المدى والمتوسطة والقريبة .[11]

إذ يقتضي بناء الامبراطورية الامريكية العظمى ايجاد مرتكز جغرافي خصب لاستكمال الاهداف الاستراتيجية المرسومة، وتعد منطقة الشرق الأوسط أفضل مجال لتحقيق ذلك، بينما يعد العراق أفضل مجال جغرافي للتحرك الأمريكي نحو منطقة الشرق الأوسط، وبدا ذلك واضحاً في اهتمامات الولايات المتحدة الامريكية بهذه المنطقة بشكل عام، ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص بغية تحقيق حلمها الكبير في تكوين الامبراطورية الأمريكية العظمى .

واذا كان الاقتصاد يعد عصب السياسة الدولية ، فإن العامل الجيوستراتيجي للعراق ، لا يقل أهمية عن أي عامل مؤثر في عمليات الجذب الدولي تجاهها، وهذا ما فعلته الادارة الامريكية من الناحية العملية عندما حشدت الجيوش واحتلت العراق، إذ هدفت أن يكون العراق المرتكز الرئيس لتنفيذ مشروع الشرق الاوسط الموسع، وان يكون الخليج العربي القلب النابض لهذا المشروع ، ما يمنحها التحكم بالرئة التي يتنفس منها العالم وهو النفط، بالرغم من كل المزاعم التي تحاول ابعاد شبح النفط عن أسباب اهتمامها قديماً وحديثاً بالعراق، ولو كان العراق يصدر الطماطم والبطاطا لما وجد له مكاناً في السياسة الخارجية

الأمريكية، وهذا ما عبر عنه أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي عندما قال :((لم نكن لنذهب مرتين الى العراق لولا كان هذا البلد يصدر الجزر)) .[12]

إن موقع العراق هذا جعله يحتل أهمية استراتيجية عظيمة، بيد أن الذي زاد من أهمية موقعه الجغرافي هو قربه من الأسواق العالمية، كما أن إطلالته على الخليج العربي أعطته أهمية استراتيجية نابعة من أهمية الخليج العربي ذاته، أذ يتمتع الأخير بمركز استراتيجي مهم ودور اقتصادي متميز أضفى على الطريق الملاحي فيه أهمية خاصة، فالسيطرة على هذا الطريق تعني السيطرة على حركة الأساطيل العسكرية والتجارية، كما أنَّ وقف الملاحة فيه يعني وقف أمدادات النفط الى العالم وهذا يؤثر في اقتصادات الدول الكبرى ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، ومن هنا يأتي اهتمام الولايات المتحدة الامريكية بهذا الطريق الملاحي الاستراتيجي وضرورة المحافظة عليه بعَده يشكل جزءاً من الأمن القومي في الاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة الامريكية .[13] .

إن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تنافس للسيطرة على قلب الأرض، هذا ما ذكره ماكيندر في تعديله الثاني الذي أجراه على نظريته سنة (1943) معللاً ذلك لما تملكه الولايات المتحدة الامريكية من امكانات اقتصادية هائلة، ومؤهلات دولية عظيمة، فيما أخذت الأخيرة تحذيرات ماكيندر على محمل الجد وحشدت الجيوش لاحتلال افغانستان ومن ثم العراق اللذان يشكلان عمق استراتيجي للصين وروسيا عند وصولهما لمنطقة الشرق الأوسط، فكان الهدف من ذلك هو قطع الطريق على القوى المنافسة من ان يكون لها دور اقليمي وعالمي في المستقبل وكبح طموحاتها التوسعية .[14] .

وهذا يقودنا الى الحديث عن أهمية العامل الاقتصادي في حسم مسألة الهيمنة العالمية للولايات المتحدة، والتي تنطلق من ضرورات قصوى للمحافظة على الأمن القومي الأمريكي،

فهي ترى في العراق ودول الخليج العربي أهمية كبيرة في دعم أمنها الاقتصادي، لا سيما وان العراق كان محط أنظار الشركات الأمريكية لإعادة اعماره بعد حرب ضروس لثمان سنوات مع ايران خرج منها العراق بديون خارجية قدرت بنحو (130) مليار دولار في حين مازالت مطالب تعويضات حرب (1991) تتجاوز(300) مليار دولار بالرغم من المبالغ الضخمة التي تم تسديدها من عائدات بيع النفط العراقي .[15]

إن الأهمية الجيوستراتيجية التي تحتلها منطقة الشرق الأوسط بشكل أعم ومنطقة الخليج العربي بشكل أخص، كون الأخيرة تعد المنطقة الأغنى في الشرق الأوسط والمركز الجيوستراتيجي للطاقة في العالم، من المؤكد تستدعي الوجود العسكري الأمريكي في هذه المنطقة تحقيقاً لأهدافه المتمثلة بالسيطرة على ثرواتها بوصفها الوسيلة الرئيسية للسيطرة على العالم والتأثير في القوى الاقتصادية والسياسية الأخرى ، وهذا الرأي يتطابق تماماً مع نظرية الخبير الاستراتيجي الأمريكي ولكولكن مان، والتي نصت على ((أن من يسيطر على نفط الخليج العربي يسيطر على مصادر القوة الاقتصادية في العقود القادمة لذلك فإن استراتيجيتنا يجب أن تنطلق من سيطرة كاملة وفعلية على نفط الخليج العربي، واذا ما سيطرنا على موارد النفط سنجبر الدول الأوربية واليابان وأية قوة اقتصادية في العالم أن تكون تابعة لنا))

.

إذن فالغاية الأساس من سيطرة الولايات المتحدة على نفط المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص هي لتحقيق ثلاثة أهداف مترابطة .[16]

1ـ التحكم في انتاج النفط وأسعاره وفي حجم توزيعه عالمياً، وكذلك التحكم بإمدادات النفط للدول المنافسة لها وجعلها تحت السيطرة، وهذا الأمر يتيح لها تأمين حاجتها النفطية بأسعار رخيصة.

2ـ منع العراق من محاولة السيطرة الذاتية على الثروة النفطية، أو بلوغ مرحلة يكون قادراً فيها على تعريب النفط أو الاسهام في رسم سياسة تسعيره وتوزيعه .

3ـ تجريد العرب من سلاحهم النفطي، وفعلاً فقد العرب هذا السلاح وتم تعطيله كلياً بفعل السيطرة العسكرية الأمريكية على مصادر النفط واغراق الدول الخليجية بالديون نتيجة حربها مع العراق واحتلاله، وهذا يعني أن النفط لم يعد نفطاً خليجياً ولا عربياً بل هو ولسنين قادمة نفط أمريكي .

يتصف العراق بأنه دولة برية، من ذلك فهو يفتقد لميزة الدول البحرية التي حدد خصائصها ماهان في نظرية القوة البحرية . اضافة لذلك فإن المنفذ البحري العراقي الوحيد على رأس الخليج العربي يواجه تحدي جدي في الآونة الأخيرة يتمثل في قيام دولة الكويت بإنشاء ميناء مبارك الكبير الذي من شأنه خنق الملاحة العراقية، والتأثير على اتصال العراق بالعالم الخارجي فيما لو سمح العراق للكويت بإنشاء هذا المشروع .[17]، وبالرغم من ذلك لازال العراق يمتلك اطلالة بحرية على منطقة الخليج العربي بغض النظر عن صغرها وضيق خط الساحل، مما أعطته أهمية جيوسيتراتيجية وأخرى جيوبولتيكية ذات تأثير اقليمي مباشر في المنطقة، وهذا هو السبب الحقيقي الذي يقف وراء سعي الولايات المتحدة للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط وتحديداً من بوابة العراق، بعَد الأخير يمثل أفضل برج مراقبة ومركز استهداف لقدرات وتحركات القوى الأوربية والأسيوية المنافسة في الشمال والشرق ، إذ يشكل العراق مع المملكة العربية السعودية عمقاً استراتيجياً للولايات المتحدة الامريكية من جهة الغرب، ودرعاً حديدياً عازلاً وحامياً لمصالحها في منطقة الخليج العربي .

إن موقع العراق على رأس الخليج العربي يعني، أن السيطرة على هذه الدولة هي السيطرة على الطريق الملاحي فيها؛ ذلك أن من يسيطر على هذا الطريق يسيطر على حركة

الاساطيل العسكرية والتجارية ومن ثم يسيطر على الخليج العربي، كما أن وقف الملاحة في الأخير يعني من الناحية العملية وقف امدادات النفط الى العالم، من هنا يأتي اهتمام الولايات المتحدة بموقع العراق.[18]

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتفي من أجل حماية مصالحا واستمرار سيادتها العالمية بتمركز قواتها في وسط آسيا، وضم معظم دول المنطقة الى حلف الناتو لعمل جدار عازل بينها وبين روسيا والصين تطبيقاً لنظرية سبايكمان، بل عززت ذلك الجدار بجدار أخر استكمالاً لما أوصى به سبايكمان باستخدام السلاح الجوي من اجل منع سيطرة القوى المنافسة على منطقة الاطار القاري، فاستخدمت الطائرات لاحتلال افغانستان والعراق، وخلقت لنفسها جدار ثاني أشبه بالقوس يتمثل في قواعدها الممتدة من أوزبكستان شمالاً حتى افغانستان وباكستان فالخليج العربي والعراق جنوباً .

كما يشكل موقع العراق المجاور لإيران منطقة استراتيجية مفصلية هامة للولايات المتحدة الأمريكية من الناحية الجغرافية تربط ما بين دول الخليج وتركيا الأقرب الى دول آسيا الوسطى من جهة وبين حدود العراق مع ايران وسوريا من جهة أخرى، فالأخيرتين من الدول المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية، لذلك كانت الحرب على العراق بدية لمشروع صهيو أمريكي يهدف الى اعادة تشكيل وبناء منطقة الشرق الأوسط، فكان المخطط أن يتبع احتلال العراق احتلال سوريا وايران على التوالي، مما يعني أن احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق يكمل السيطرة على الشرق الأقصى والأوسط، ويحد من امتداد العملاقين روسيا الاتحادية والتنين الصيني، كما يحد من انتشار المصالح الأوربية في منطقة الشرق الأوسط .[19]

ولا يفوتنا أن نذكر من باب الاهداف الأخرى التي سعت الولايات المتحدة الأمريكية اليها من احتلالها للعراق، هو إعادة تقديم جديد لمشروع الشرق ـ أوسطية بصيغة جديدة أهمها .[20]

1ـ خروج العراق بوصفه مصدر للتهديد الاستراتيجي لإسرائيل، في حل مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، وتدمير أسس الدولة العراقية كلها التي تم تشييدها في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، على وفق الصيغ الدستورية والقانونية والمواثيق الدولية .

2ـ سيتيح احتلال العراق كما أفصح وزير الخارجية الأمريكية كولن باول للولايات المتحدة فرصة اعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالحها .

وعلى صعيد متصل، إن الولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب بأكثر من اشاعة الفوضى في العراق والمنطقة تمهيداً لتقسيمها واضعافها خدمةً لإسرائيل لتكون القوة الوحيدة في وجه كيانات هشة سواء في العراق، أو في الخليج العربي أو حتى دول الشام، ويعد العراق الهدف الأول الذي ابتدأت به الولايات المتحدة الأمريكية وقدمت فيه خدمةً لا تنسى لإسرائيل .

انطلاقاً مما تقدم وبعد استعراض الأهمية الجيوسيتراتيجية لموقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية يمكن القول أن العراق يتمتع بموقع جغرافي فريد من نوعه في منطقة الشرق الأوسط، فقد كان العراق ولازال من أهم دول المنطقة التي شغلت حيزاً كبيراً من التفكير الأمريكي الاستراتيجي، بمستوياته الثلاثة السياسية والاقتصادية والعسكرية، من ذلك كان لموقع العراق ميزات عظيمة أعطته مكانة جيوسيتراتيجية خاصة في حسابات الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتنافسة معها على الهيمنة العالمية من أهمها روسيا الاتحادية والصين.

لقد كان موقع العراق على رأس الخليج العربي حجر الزاوية في تحرك الولايات المتحدة الأمريكية واحتلال العراق في نيسان (2003)، لما لهذا الموقع من أهمية جبارة في منع وصول القوى المنافسة للولايات المتحدة من الحدود البرية الشمالية لحوض الخليج العربي، فضلاً عن أهميته في عمليتي الاشراف والمراقبة على حركة الاساطيل النفطية التجارية العالمية، التي يعني توقفها توقف ايصال النفط بأرخص الأثمان الى الولايات المتحدة الامريكية وبقية دول العالم .

الاستنتاجات :

1- إن الموقع الجغرافي المميز للعراق أعطاه أهمية جيوسيتراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تفوق بقية العوامل الطبيعية الأخرى، كما لعب دوراً بارزاً في تحديد التوجهات العامة لسياستها الخارجية إزاء العراق، وأسهم في بناء علاقات سياسية واقتصادية متينة مع الولايات المتحدة الأمريكية تقوم على أساس المنفعة المتبادلة، خصوصاً وان العراق بحاجة ماسة للمنتجات الاستهلاكية والرأسمالية الأمريكية، بينما تتميز الأخيرة بتعطشها المتزايد للنفط العراقي .

2- أسهم الموقع الفلكي للعراق بتنوع التضاريس والاقاليم المناخية فيه، ومن ثم تنوع الانتاج الاقتصادي، غير أن الاضطرابات السياسية، وغياب الاستقرار الداخلي والتجانس المجتمعي التي مر بها العراق ولاسيما بعد سنة(2003) أدت الى تدهور قطاع الزراعة، وحالت دون وصول العراق الى درجة الاكتفاء الذاتي، وتحقيق مستوى ممتاز من الأمن الغذائي، وبالنتيجة حصول عجز غذائي في توفير بعض المواد الغذائية كالرز والسكر والزيوت النباتية، والمنتجات الحيوانية كاللحوم والألبان، هذه الفجوة دفعت العراق الى استيراد تلك المواد بالعملة الصعبة من دول عدة، في الوقت الذي كان يجدر بالعراق استثمار تلك الأموال في قطاع الزراعة وتلبية متطلباته لسد حاجة السكان المتزايدة على المواد الغذائية في ظل تزايد النمو السكاني في العراق ، وتحقيق درجة ممتازة من الاكتفاء الذاتي ، هذا العجز الغذائي سوف تكون له تبعات لاحقة على استقرار الدولة وأمنها واستقرار نظامها السياسي، وهذا من الجانب النظري يخدم الدول الكبرى التي تسعى لتركيع الشعوب والسيطرة على مقدراتها وان تغيرت الاساليب والاستراتيجيات من استخدام القوى الى اتفاقيات اقتصادية وتجارية مشتركة لتبادل المنفعة، لذلك كان العراق ولازال من أهم دول منطقة الشرق الأوسط التي دخلت ضمن حسابات الولايات المتحدة الأمريكية

وتفكريها الاستراتيجي، إذ تتميز الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة خارجية ذكية جداً في توجهاتها وتنطلق من معرفة كبرى بحاجة الدول التي تشكل بعداً اقتصادياً هاماً في استراتيجياتها المستخدمة لتحقيق اهدافها الاستراتيجية .

3ــ يتميز العراق بموقع مركزي يتوسط العالم بمائه ويابسه، هذا الموقع جعل العراق يربط الشرق بالغرب براً وجواً، مما جعل العراق جداراً عازلاً يفصل بين مثلث القوى العالمي المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين من جهة، وبين القوى الاقليمية الصاعدة المتمثلة بتركيا وايران، والقوى الاقليمية المؤثرة في القرار السياسي بمنطقة الشرق الأوسط المتمثلة بمصر والمملكة العربية السعودية من جهة أخرى، وبالنتيجة فإن موقع العراق هذا جعله محط أنظار الولايات المتحدة الأمريكية بعَده رقماً صعباً في المعادلة السياسية والاقتصادية والعسكرية لحسابات الولايات المتحدة الأمريكية الجيوسيتراتيجية في منطقة الشرق الأوسط . .

4ــ إن الموقع الاستراتيجي للعراق، جعله يدخل ضمن اهتمام وعناية أصحاب النظريات الاستراتيجية، إذ يقع العراق وفقاً لنظرية القوة البرية لهالفور ماكيندر ضمن منطقة الهلال الداخلي الذي يحيط بقلب الأرض، من ذلك فهو يقع ضمن منطقة الصراع للهيمنة على العالم، بينما يقع العراق ضمن نظرية القوة البحرية لماهان على رأس الخليج العربي، وبالرغم من أن موقعه هذا لا يسمح له أن يكون قوة عالمية عظمى وفقا لمواصفات الدولة البحرية التي وضعها ماهان، غير أنه قادراً على أن يكون قوة اقليمية كبرى لأنه موقعه على رأس الخليج العربي جعله يشرف على التجارة الدولية لنفط منطقة الخليج العربي التي تعد من أكبر مناطق انتاج النفط في العالم، ومن هنا جاءت أهمية العراق في الاستراتيجية الأمريكية لمنع وصول القوى المنافسة الى هذه المنطقة عن طريق البر الشمالي للمنطقة الذي يمثله العراق، في حين يقع العراق بالنسبة لنظرية الأطراف ضمن الاطار الاستراتيجي الذي حدده

سبايكمان، وبذلك يشكل العراق عمقاً استراتيجياً للولايات المتحدة الأمريكية، وجداراً حديدياً يفصل بينها وبين القوى المنافسة، كما يشكل مركزاً ومجالاً جغرافياً لمنع وصول تلك القوى الى منطقة الخليج العربي، ومنطلقا لتطبيق سياسة الردع العسكري الأمريكي تجاه القوى العالمية والاقليمية الصاعدة ، أما بالنسبة لنظرية القوة الجوية لألكسندر دي سفرسكي فالعراق يقع ضمن منطقة التداخل بين نفوذ القوة الجوية الأمريكية والقوة الجوية الروسية التي تعد من أهم مناطق التصادم بين القوى المتنافسة للهيمنة على العالم .

5ـ أن أهمية موقع العراق، وما يتمتع به من احتياطي نفطي كبير، وزيادة الطلب على الطاقة وخاصة النفط والغاز، يضع الولايات المتحدة الأمريكية في حذر وترقب شديدين، وخاصةً بعد تنامي حجم الاقتصاد للدول المنافسة على الهيمنة العالمية ولا سيما دولة الصين التي توجهت الى العراق بشكل واضح منذ سنة (2014) للحصول على امتيازات من النفط العراقي، بالرغم من تفوق الولايات المتحدة الامريكية في حجم الاحتياطي النفطي على منافسيها، فضلاً عن تفوقها في انخفاض نسبة الاستهلاك من هذين الموردين، غير أن مخاوفها أصبحت ملفتة النظر بعد الازمة المالية العالمية الأخيرة والتي تسببت في تدهور الاقتصاد الامريكي فكانت بمثابة نقطة مفصلية في تراجع أو صعود اقتصاديات الدول العظمى، وبالنتيجة تزايد المكانة السياسية أو تراجعها .

الهوامش والمصادر :

1ـ مهدي فليح ناصر الصافي، الدول المطلة على بحر قزوين وآفاقها المستقبلية دراسة في الجغرافية السياسية، أطروحة دكتوراه ((غير منشورة))، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005، ص[5] .

2ـ مجيد حميد شهاب البدري، محمد كشيش خشان الموسوي، موقع العراق وأهميته في السياسة الخارجية لدول المجال الاسيوي الجديد، مجلة آداب الكوفة، المجلد (1)، العدد (16)، 2013، ص[185].

3ـ عبد الرحمن علي عبد الرحمن الجادر، تحليل جغرافي سياسي للعلاقات العراقية ـ التركية بعد عام 2003،أطروحة دكتوراه ((غير منشورة))، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة البصرة، 2015، ص[70] .

4ـ أُستخرجت درجة الاكتفاء الذاتي باستخدام المعادلة التالية: ، الانتاج / الاستهلاك X 100 بالاعتماد على المصار التالية :

- F.A.O. Perspectives De Cosechas y, Situation Aliment aria, 2018 .

- F.A.O. Food Outlook, Biannual Report On Global Food Markets, (((.

5ـ حسين سلمان جاسم البغدادي، تحليل واقع الأمن الغذائي العراقي وامكانات تحقيقه، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، المجلد (16)، العدد (3)، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة القادسية، 2014 ص[174] .

6ـ صلاح حميد الجنابي، سعدي علي غالب، جغرافية العراق الاقليمية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل ، 2005 ص[11] .

7ـ أياد عاشور الطائي ، علي عبد الزهرة الوائلي، لطيف هاشم الطائي، جغرافية العراق الاقليمية، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2013، ص[12] .

8ـ لطيف كامل كليوي، تحليل جغرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران، أطروحة دكتوراه ((غير منشورة))، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2014، ص20 .

9ـ عباس فاضل السعدي ، جغرافية العراق اطارها الطبيعي ـ شاطها الاقتصادي ـ جانبها البشري، الدار الجامعية ط1، الجامعة العربية للطباعة والنشر، بغداد، 2009، ص[7] .

10ـ مازن اسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية دراسة نظرية، مكتبة السنهوري للنشر، بغداد، 1991، ص[157] .

11ـ محمد أزهر سعيد السماك ، العراق 1920 ـ 2025 خارطة طريق لميلاد عراق جديد، مطبعة خاني، دهوك، 2015، ص[58 – 64] .

12ـ نزيه علي منصور، الولايات المتحدة الأمريكية ومواجهة الأزمات الدولية في ضوء القانون الدولي، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2013، ص[489] .

13ـ شهد علي عبود، الاستراتيجية الامريكية تجاه العراق دراسة في البعد النفطي، الحوار المتمدن، شبكة المعلومات الدولية الأنترنت، الموقع الإلكترونى :
www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=420136

14ـ عباس غالي الحديثي، نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان ، 2004، ص44.

15ـ خالد محسن جابر اليعقوبي، السياسة الامريكية تجاه العراق وانعكاساتها الاقليمية والدولية بعد نيسان 2003، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ، 2013، ص95.

16ـ خالد محسن، مصدر سابق، ص196 – 197.

17ـ لطيف كامل كليوي، مصدر سابق، ص17 .

18ـ شهد علي عبود، مصدر سابق .

19ـ مصطفى محمد جاسم العبيدي، الامبراطورية الناعمة السياسة الخارجية الامريكية تجاه الشرق الأوسط، ط1، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، بيروت، 2015، ص94-100 .

20ـ مصطفى الغيثان، السياسة الخارجية الأمريكية حيال العراق ماضي المستقبل ومستقبل الحاضر، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بغداد، 2014، ص177 .